الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـامعة زيـــان عاشـــور الجلفـة
كليـة العلوم الاجتماعية والإنسانيـة
قسم الفلسفـة.

منهج الإمـــام ابن قيـم الجـــوزية ونقـده للفـرق الكـــلامية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفـــــة
(تخصص: فلسفـة عـامة)

إعداد الطالب:
♦ بولنوار مصطفى

إشراف الدكتور:
أخضري مولود

السنة الجامعية: 2022/1443

شكر وعرفان

الشكر لله تعالى الذي أعانني على انجاز هذا البحث .

الواجب يقتضي بإسناد الفضل لأهله والجميل لذويه، لذا أتوجه بالشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي: الدكتور " أخضري مولود " على قبوله الإشراف ومتابعته للبحث منذ أن كان مجرد أفكار متناثرة لغاية الآن غدا بفضل الله مذكرة جامعية .

ولأنني لأعلم من نفسي العجز عن مكافأة فضله لذا اسأل الله تعالى أن يجازيه خير الجزاء كما أتوجه بخالص الشكر والعرفان بصفة خاصة لكل أساتذة كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

وجامعة الجلفة بصفة عامة .

وخالص الشكر والعرفان إلى كل من أسدا لي خدمة أو معروف من قريب أو بعيد سهل به انجاز هذا البحث .

إهداء

أهدي هذا العمل إلى رمز المحبة والحنان إلى التي يعجز اللسان عن شكرها التي رفع الله شأنها وجعل الجنة تحت أقدامها والتي بدونها لا يوجد معنى لحياتي أمي الغالية أطال الله في عمرها وحفظها لي من كل سوء والى قرة عيني أبي أطال الله في عمره إلى عائلتي الصغيرة زوجتي (وولديَ خضور وبراء) وإلى أخوتي وأخواتي والى أصدقائي والى أساتذتي وكل باسمه إلى كل من ساعدني وشجعني في هذا العمل .

بو النوار صحافة

مُقَدِّمَةٌ

مقدمـــة:

الحمد عالم الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن ولي من الذل وكبيره تكبيرا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فلقد خلق الله الخلق لغاية شريفة سامية وهي عبادته وحده لا شريك له قال الله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) وإذا كانت الغاية من إيجاد البشرية هي عبادة الله وحده، وبما أن التوحيد هو رأس العبادات وأساسها، فإن أوجب ما يجب على العبد معرفته والتسليم له والإيمان به هو توحيد الله بأسمائه وصفاته وأفعاله والتصديق بما يستلزم ذلك من الإيمان بملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر.

إن أعرف الناس بالله عز وجل أتبعهم للطريق الموصل إليه، وأعرفهم بحال السالكين عند القدوم عليه. والله تعالى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق فلا هدى إلا فيما جاء به ،ولا ريب أنه يجب على كل واحد أن يؤمن بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم إيمانا عاما مجملا ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم على التفصيل فرض كفاية فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله وداخل في تدبر القرآن وعقله وفهمه وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ،ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية منهم. وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم، البلاغ المبين وأوضح الحجة للمستبصرين وسلك سبيله خير القرون، ثم خلف من بعدهم خلف اتبعوا أهواءهم وافترقوا فأقام الله لهذه الأمة من يحفظ عليها أصول دينها .

وكلما بعد العهد ظهرت البدع وكثر التحريف، الذي سماه أهله تأويلا ليقبل وقل من يهتدي إلى الفرق بين التحريف والتأويل، إذ قد يسمى صرف الكلام عن ظاهره إلى معنى أخر يحتمله

اللفظ لقد ظهرت جماعات على شكل فرق نسبت نفسها إلى الإسلام وأخذت تدعوا الناس إلى القول بأفكارهم حسبهم أنها على شيء من الإسلام وكان حصاد ما جمعوا من أفكار أن أوقعوا الفرقة بين المسلمين وقتلوا العلماء بجور السلطان قصدت لهم طائفة من علماء المسلمين وأخبار التابعين وتابعي التابعين وأحفادهم .

ومن بين هؤلاء إمامنا الجليل العلامة الإمام ابن قيم الجوزية الذي تجلت شخصيته في قدره على كشف زيف كل فرقة خرجت عن منهج السلف وبطلان دعوة وأفكار كل منها وكان من دعاة الصدق، وعلماء ثمن الدين كبروا جمود الجامدين الممالين الذين ضلوا واصلوا وكشفوا عما وري من الحق فاستنار بعلمهم وبيانهم من هدى الله واندثر من حقت عليهم الضلالة.

ومن أجل المساهمة في هذا الموضوع، وحرصا منا على الوقوف على الأعمال والمواضيع لهذا الإمام وخدمة للعلم وقياما بواجبنا نحوه، لم نجد خيرا ولا أكمل ولا أوفى حقا له وعرفانا منا بعمله من أن تطرح فكرة منهج الإمام ابن قيم الجوزية ونقده للفرق الكلامية، ليكون موضوع مذكرتنا ومحور رسالتنا وهذا إيمانا منا بالعمل الكبير والخدمة التي قام بها في سبيل توحيد الأمة ونبذ الفرقة وكشف بطلان المبتدعة .

ولقد كانت الدراسات في هدا الموضوع نادرة جدا ولم أجد الا القليل ممن تعرض لمثل هده الدراسة من قبل وكنت من السباقين لتناول هدا الموضوع كعمل تخرج سواء رسالة ماستر او ماجيستر او دكتوراه وارجو ان لا يكون الأخير

ولقد اعتمدت في موضوع مدكرتي على المنهج النقدي فهو الملائم لمثل هدا النوع من الرسائل فالامام رحمه الله كان سيفا صارما في وجه الفرق الضالة فبين بطلان زعمهم بالحجة والبرهان نقدا وتحليلا متبعا سياقا فريدا من نوعه متججا بايات الله وأحاديث نبيه الكريم مستفيدا من مواعض ودروس شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية التي تشبع بها

وواجهتني صعوبات في طرح هاته الرسالة ولعل أهمها هو قلة المراجع ووجود بعض المصادر من دون تحقيق فلم يتبين لي صحة الطرح فيها ولعل اهم شيء ارقني هو أحاديث النبي

في بعض المصادر التي لم تكن معنعنه او عدم بيان صحة تخريجها في بعض المصادر وقلة او انعدام الدراسات السابقة التي كنت ساخد منها فكرة في طريقة الطرح

الأسباب التي جعلتني اختار هدا الموضوع هو أهميته بالنسبة للوقت الراهن وما حصل معه من تجادبات سياسية واختلافات عقائدية ومناظرات بزنطية بين أبناء الملة الواحدة فيما يخص الاسماء والصفات الإلهية ولم أجد أحسن ولا أفضل من الامام ابن القيم في الرد عليهم وبيان بطلان وفساد عقائدهم

الإشكاليـــة:

إشكالية الرسالة ماهي هاته الفرق وفيما اختلفو وكيف كان رد امامنا على هاته الفرق وكيف بين بطلان كل فرقة في توحيد الأسماء والصفات وماهو المنهج الدي اتبعه في بيان فساد زعمهم وفضح سرائرهم ومنهجهم وكيدهم

ولقد تضمنت مذكرتنا ثلاثة فصول يعالج كل منها شطرا من عنوان الطرح فكان :

الفصل الأول: بعنوان الإمام ابن قيم الجوزية وتأثره بالفكر المحيط به.

وقد حمل هذا الفصل في صفحاته ثلاثة مباحث تعالج كل منها فكرة هي شرح مفصل لعنوان الفصل، وامتداد لفكرة بعدها وتكملة لما قبلها :

فالمبحث الأول: التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية .

والثاني: تأثره بالقرآن والسنة ومذاهب السلف

والثالث: انقسام طوائف التوحيد .

أما الفصل الثاني: منهج وعقيدة الإمام ابن قيم الجوزية .

وقسمناه إلى ثلاث مباحث :

فتطرقنا في المبحث الأول إلى عقيدته ومنهجه .

المبحث الثاني: نقده للفلاسفة والفكر الفلسفي .

المبحث الثالث: نشأة الفرق الكلامية وتطورها .

أما الفصل الثالث والأخير فتناولنا نقده للفرق الكلامية.

انطوى تحته ثلاثة مباحث، اخترنا لكل مبحث فرقة تناولها الإمام بالنقد :

فالمبحث الأول: تناولنا نقده للجهمية .

المبحث الثاني: نقده للمعطلة

المبحث الثالث: نقده للقدرية

ثم الخاتمة خاتمة الطرح وكانت بمثابة خلاصة العمل لأننا ركزنا فيها على الحديث بما استفدناه من كل فصل ومن العمل إجمالا .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل والحمد الله رب العالمين وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الفصل الأول

التعريف بالإمام ابن القيم الجوزية وتأثره بالفكر المحيط به

المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن قيم الجوزيـــــة

المبحث الثاني: تأثره بالقرآن والسنة ومذهب السلف

المبحث الثالث: انقسام طوائف التوحيـــــــــــد

1. التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية :

- **اسمه ونسبه:**

هو الإمام الفقيه المفسر النحوي صاحب التصانيف الشهيرة والمصلح الإسلامي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي الحنبلي المعروف بابن قيم الجوزية[1].

- **مولده:**

ولد الإمام ابن قيم الجوزية في بيت علم وفضل في السابع من صفر سنة691هـ الموافق لـ: 1292م درس بالمدرسة الصدرية وأم بالمدرسة الجوزية مدة طويلة كان فريدا في فنون كثيرة ، مع كثرة الطلب ليلا و نهارا ، و كثرة الابتهال و كان حسن القراءة و الخلق كثير التودد لا يحسد أحدا و لا يؤديه و لا يستعيبه و لا يحقد على أحد وكانت له طريقة في الصلاة يطيلها جدا و يمد ركوعها و سجودها ويلومه كثير من أصحابه في بعض الأحيان فلا يرجع و لا ينزع عن ذلك و له من التصانيف الكبار و الصغار الشيء الكثير وكتب بخطه الحسن شيئا كثيرا واقتنى من الكتب مالا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف و الخلف و كان الغالب عليه الخير و الأخلاق الصالحة. [2]

قال الحافظ بن حجر: وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار ويقول: هده عدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي .

حج مرات كثيرة وجاور بمكة وكان أهل مكة يذكرون عنه من شدة العبادة وكثرة الطواف أمرا يتعجب منه .

[1] ابن قيم الجوزية: حدي الأرواح إلى بلاد الأفراح، الطبعة الأولى، دار الكتب العربي بيروت (لبنان)، 2005، ص: 06.

[2] ابن كثير البداية والنهاية، الجزء الرابع عشر، الطبعة الأولى، مكتبة الصفا القاهرة (مصر)، 2003، ص: 198

- **ثقافتـه:**

الثقافات التي كان الإمام ابن قيم الجوزية باحثا دؤوبا أخد من كل علم وهضم جميع ازدهرت في عصره ببلاد الشام ومصر وكان مغرما بجمع الكتب فحصل منه مالا يحصى حتى كان أولاده يبيعون منه بعد موته دهرا طويلا سوى ما اصطفوه لأنفسهم منها.

وكان لغويا لا يشق له غبار فكان يأتي باللفظ ويحلله ويذكر أصله ورأي العلماء فيه ثم ما يرتضيه من بين الآراء.

- **من كلامـه:**

- بالصبر والتيسير تنال الإمامة في الدين .
- لابد للعالم من همة تسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه .

- **من شعره:**

وبالرغم من أن شهرته قد بنيت على التشريع وأصوله وعلوم الحديث إلا أنه كان أديبا متشوقا للشعر ويستشهد به، فيأتي الاستشهاد صائبا في موضعه والقصيدة النونية تشهد له على سعة علمه بهذا المجال يقول فيها[1]:

يا خاطبا الحور الحسان وطالبا لوصالين بجنة الحيوان
لو كنت تدري من خطبت ومن طلب ت بدلت ما تحوي من الأثمان
أو كنت تعرف أين مسكنها جعل ت السعي منك لها على الأجفان
أسرع وحث السير جهدك إنما مسراك هذا ساعة لزمان

ويقول في آخرها:

يا عاشقا هانت عليه نفسه إذا باعها غينا بكل هوان
أترى يليق بعاقل بيع الذي يبقى وهذا وصفه بالفاني

[1] ابن قيم الجوزية: الوابل الصيب من الكلم الطيب، الطبعة الأولى دار الفكر بيروت (لبنان) 2002، من (10،11)

- **شهادة العلماء له :**

وصف كل من ترجم للإمام بجملة أوصاف تنبئ عن عظيم فظله وعلو مرتبته واتساع دائرته وغزارة علمه وشدة ورعه .

قال الإمام العلامة ابن حجر العسقلاني:

كان جريء الجنان، واسع العلم عارفا بالخلاف ومذاهب السلف

وقال العالم الإمام ابن كثير :

كنت من أصحب الناس لهو أحب الناس إليه ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه[1].

- **تلاميذه:**

تتلمذ عن ابن قيم الجوزية رحمه الله كثير من العلماء المشهود لهم بالفصل منهم: الإمام أبو الفرج البغدادي ولد سنة 736هـ الموافق 1335م وتوفي في دمشق سنة 795هـ الموافق لـ:1339م

الإمام الحافظ ابن كثير ولد في قرية من أعمال بصري الشام سنة 701 هـ الموافق 1302م وتوفي بدمشق سنة 774 هـ الموافق 1373م.

- **مؤلفاته:**

مؤلفات العالم الجليل كثيرة ومتنوعة وقد ضمنت كثيرا من البحوث والجوانب الشرعية إضافة إلى الموضوعات الاجتماعية والتاريخية التي تمس المجتمع وحياة الناس اليومية فهو أحد من قام بنشر السنة وجعتها بيئة وبين الآراء المحدثة وها أنا أورد بعض أسماء مؤلفاته:

طريق الهجرتين وباب السعادتين، مدارج السالكين، الشافية الكافية في الانتصار للفرقة الناجية، الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة، شرح الأسماء الحسنى، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، كتاب الروح زاد المعاد في هدي خير العباد، الوابل الصيب من الكلم الطيب

[1] ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين وباب السعادتين، الطبعة الأولى دار الفكر بيروت (لبنان) 2005، ص من (10،11)

نور المؤمن وحياته، تفسير أسماء القرآن، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، أخبار النساء، الداء والدواء، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، الفوائد.

- **محنته:**

لقد أوذي الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى كثيرا، وحبس مع شيخه وأستاذه شيخ الإسلام ابن تيميه في قلعة دمشق منفردا عنه ولم يفرج عنه إلا بعد وفاة الشيخ. أما سبب ذلك: أنه أنكر (شد الرحيل لزيارة قبر الخليل)، فاعتقل وأهين، وطيف به على جمل مضروبا بالسياط.

وجرت له أيضا محنة مع القضاة، لأنه أفتى بجواز المسابقة على الخيل بدون محلل وهكذا كان علماء عصره ينالون منه[1].

- **وفاته**

وفي ليلة الخميس الثالث عشر رجب سنة 751هـ الموافق 1350م وقت أذان العشاء توفي الإمام ابن قيم الجوزية، وصلي عليه بعد صلاة الظهر من يوم الخميس بالجامع الأموي ودفن عند والدته بمقابر الباب الصغير، ولقد كانت جنازته حافلة رحمه الله، شهدها القضاة والأعيان والصالحون من الخاصة والعامة، وتزاحم الناس على حمل نعشه، وقبره معروف حتى الآن[2].

[1] نفس المصدر السابق ، ص: (07،08)

[2] ابن كثير: البداية والنهاية، ص:198

2. تأثره بالقرآن والسنة ومذهب السلف :

لقد تأثر الإمام ابن قيم الجوزية بالقرآن ليم تأثير مكان حاملا الكتاب الله في صدره منذ نعومة أظافره مجموعا في قلبه مستلذا بتلاوته أناء الليل وأطراف النهار قائما بأوامره مبتعدا عن نواهيه جامعا بين قلبه وبين معاني القرآن كأنها كتبت فيه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوته وحبيبة وكان أحب إليه من نفسه متبعا إياه في كل شئ فهو الطريق المصل إلى محبة الله عز وجل وهذا مصدقا لقوله عز وجل: قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١ [1]. فحفظ من الأحاديث النبوية الشيء الكثير كان يعتمدها في الاستشهاد في المناظرات فأظهر براعة في حفظ الأسانيد والعنعنة.

أما تأثره بالسلف فكان واضحا وجليا من شيوخه ومن تلق على أيديهم العلم ففي:

أصول الفقه: أخذه عن الشيخ صفي الدين الهندي.

الحديث: أخذ عن علي ابن الشهاب النابلسي والقاضي تقي الدين بن سليمان

العربية: أخذها عن أبي الفتح البعلي، وقرأ ألفية ابن مالك .

أما عن عظيم الأثر في حياة الإمام ابن قيم الجوزية وفي شخصه فهو أستاذه الأكبر شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية وقد أثر فيه أعظم التأثير فقد نهج نهجه وسار على طريقته وكان سببا في نشر علم ابن بما صنفه من التصانيف الحسنة المقبولة وكانت ملازمته لشيخه ملازمة تامة فنهل من فيض علم شيخه الواسع مستمعا إلى أرائه الواضحة السديدة وغلب عليه حبه حتى أنه كان يأخذ بأكثر اجتهاداته وينتصر لها ويتوسع فالتدليل على صحتها وضعف ما يخالفها[2] .

[1] سورة آل عمران الآية :31

[2] ابن قيم الجوزية والوابل الصيب من الكلم الطيب ،ص:(05-04-03)

إن أهم ما استفاده الإمام ابن قيم الجوزية من شيخه ابن تيمية هو دعوته إلى الأخذ بكتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. قال الله تعلى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ [1] الاعتصام بهما وفهمهما على النحو الذي فهمه السلف الصالح مع تمكن حب الله والرسول من شغاف القلب وله في هذا شعر يقول فيه [2]:

وقد كان قلبي ضائعا قبل حبكم فكان بحب الخلق يلهو ويمرح

قلما دعا قلبي هواك أجابه فلست أراه عن خبائك يبره

إذا لعبت أيدي الهوى بمحبكم فليس عن بابكم متزحزح

هوى غيركم نار تلظى ومحبس وحبكم الفردوس أو هو أفسح

فيا ضيم قلب قد تعلق غيركم ويا رحمة مما يجول ويكدح

وكان همه تنقية الدين مما ابتدعه بعض المسلمين من مناهج زائفة من تلقاء أنفسهم خلال القرون السالفة وقرون الانحطاط والجمود والتقليد الأعمى مما تسرب إلى الفكر الإسلامي من خرافات وبدع ومنطق مزيف أتي من اليونان والرومان والهند والفرس وغيرهم .

ولقد تأثر الإمام بشيخه رحمه الله تعالى تأثرا كبيرا والدليل على هذا مؤلفاته الكثيرة المتنوعة والتي تلح بقوة وإصرار على إعطاء كتاب الله تعالى جل حقه من العناية به والعكوف على دراسته وتدبر آياته ومعانيه وبيان قيمة السنة الصحيحة والتنويه بها والكشف عما تنطوي عليه من بيان للقرآن الكريم وتفصيل لمجمله وتوضيح لمعانيه وتوكيد لحقائقه وتبصر بمعالم الطريق السوي الذي يأخذ بأيديهم إلى العلم الصحيح الخالص من شوائب الجمود والتقليد.

[1] سورة الأنفال الآية 24

[2] ابن قيم الجوزية: طريق الهجرتين، ص: (35.34)

3. أقسام طوائف التوحيد:

التوحيد أول دعوة الرسل وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله قال الله تعالى: لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩ [1] فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام وأخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، دخل الجنة)[2] ،فهو أول واجب وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره .سئل "الجنيد" عن التوحيد؟ فقال: "هو إفراد القديم عن المحدث، ولا تصح دعوى التوحيد ولا مقامه ولا حاله ولا يكون العبد موحدا، إلا إذا أفرد القديم عن المحدث فان كثيرا ممن ادعى التوحيد لم يفرده سبحانه وتعالى عن المحدثات، فإن من نفي مباينته لخلقه فوق سماواته، على عرشه وجعله في كل مكان بذاته، لم يفرده عن المحدث بل جعله حالا في المحدثات مخالفا لها موجودا فيها بذاته."[3]

- **وقد تقسمت الطوائف وسمى كل طائفة باطلهم توحيدا :**

فأتباع أرسطو و ابن سينا والنصير الطوسي عندهم الوحيد :إثبات وجود مجرد عن الماهية و الصفة بل هو وجود مطلق ، لا يعرض لشيء من الماهيات ولا يقوم به وصف ولا يتخصص بنعت، بل صفاته كلها أسلوب و إضافات ، فتوحيد هؤلاء هو غاية الإلحاد و الجحد والكفر ، وفروع هذا التوحيد إنكار ذات الرب و القول بقدم الأفلاك ، و أن الله لا يبعث من في القبور ،و أن النبوة مكتسبة ، وأنها حرفة من الحرف ، كالولاية و السياسة ، و أن اله لا يعلم عدد الأفلاك و لا الكوكب و لا يعلم شيئا من الموجودات المعينة البتة و أنه لا يقدر على قلب شيء من أعيان العالم، و لا شق الأفلاك و لا خرقها ، و هم ينكرون أن يكون ماهية غير

[1] سورة الأعراف الآية 39

[2] أخرجه أبو داود، (الجزء الأول /3116)

[3] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، الجزء الثالث، المكتبة التوفيقية، القاهرة (مصر) ص: (4070406-405)

الوجود المطلق ،و أن يكون له وصف ثبوتي زائد على ماهية الوجود ، فهم في الحقيقة منكرون لذاته ، صفاته وأفعاله

- وأما الاتحادية والتوحيد عندهم: أن الحق الميزة هو عين الخلق المشبه، وأنه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهينه وأنه آية كل شيء، وله فيه آية تدل على أنه عينه، وهو نفس الآية ونفس الدليل ونفس المستدل عليه، فالتعدد بوجود اعتبارات وهمية لا بالحقيقة والوجود فهم عندهم عين الآكل وعين المأكول، وهذا عندهم: هو السر الذي رمزت إليه هوامش الدهور الأولية، ورامت إفادته الهداية النبوية، كما قاله محققهم وعارفهم "ابن سبعين.
- وأما الجهمية فالتوحيد عندهم: إنكار علو الله على خلقه بذاته وباستوائه على عرشه وإنكار سمعه وبصره، وقوته وحياته، وكلامه وصفاته وأفعاله، ومحبته ومحبة العباد له، فالتوحيد عنهم: هو المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه[1] .
- وأما القدرية فالتوحيد عندهم: هو إنكار قدر الله وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها ومتأخر وهم ضموا إلى ذلك: توحيد الجهمية فصار حقيقة التوحيد عندهم: إنكار القدر وإنكار حقائق الأسماء الحسني والصفات العلى، ربما سموا إنكار القدر والكفر بقضاء الرب وقدره "عدلا وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد.

والقدرية تنكر دخول أفعال الملائكة، والجن والإنس وسائر الحيوان تحت قدرته ومشيئته خلقه فهم متنكرون في الحقيقة لكمال عزته وملكه.

- وأما الجبرية: فتفرد الرب تعالى بالخلق والفعل، وأن العباد غير فاعلين على الحقيقة ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها، وان الرب تعالى لم يفعل لحكمة، ولا غاية تطلب

[1] ابن قيم الجوزية ، نفس المصدر السابق : ص : (409-410)

بالفعل، وليس في المخلوقات قوي وطبائع وغرائز وأسباب، بل ما ثم إلا مشيئة محضة ترجح مثلا على مثل بغير مرجح ولا حكمة ولا سبب البتة.

وهم ينكرون حكمته، وأن يكون له في أفعاله وأوامره غاية يفعل ويأمر لأجلها فهم منكرون في الحقيقة لحكمته وحمره.

بل نقول قولا كليا: إن كل أية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد مشاهدة به داعية إليه فإن القرآن: إما خبر عن الله أسمائه وصفاته أفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري إما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي إما.

أمر ونهي إلزام بطاعته في تهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملته إما خير عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده أما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبة من العذاب فهو خير عن من خرج عن حكم التوحيد[1] والتوحيد على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: توحيد العامة الذي يصح بالشواهد

الوجه الثاني: توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق

الوجه الثالث: توحيد قائم بالقدم وهو توحيد خاصة الخاصة

ولا ريب أن أهل التوحيد يتفاوتون في توحيدهم علما ومعرفة وحالا تفاوتا لا يحصيه إلا الله فأكمل الناس توحيدا الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، والمرسلون منهم أكمل في ذلك وأول العزم من الرسول أكمل توحيد وهم: نوح، إبراهيم، موسي، عيسى، محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأكملهم توحيدا الخليلان محمد وإبراهيم صلوات الله وسلامه عليهما فإنهما قاما من التوحيد بما لم يقم به غيرهما علما ومعرفتا وحالا ودعوة للخلق وجهاد، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعوا إليه وجاهدوا الأمم عليه.

[1] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ص (411-410 410)

خلاصة الفصل الأول:

لقد كان الامام ابن قيم الجوزية انسانًا ورعًا حصيفا عارفا بدين الله غيورا على حارمه لا لدنيا يطلبها وانما طمعا في جنة عرضها السماوات والأرض لم يكن يشغله شاغلا عن الذود عن حمى الله.

كان يتألم لما كان يراه من فرقة وشتاتا بعد اتحاد وارتصاص كان يدرك جيدا ببعد بصيرته وبصيرة العارفين والعلماء وكان يرى بنور الله ان هذا التفرق سيكون خيبة وخبالا على الأمة في ما بعد.

لم يكن يريد سوى عزا لديني الله تعز معه نفوس المسلمين وتلين جوانبهم بعضهم لبعض.

لهذا كرس حياته جهده وماله ووقته في سبيل الله.

ان هذه أمتكم أمة واحدة أمة الإسلام أمة تركنا عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمحجة البيضاء لا يزيغ عنها الا هالك.

لقد رحل الإمام ويبقى أثره الطيب وكلمة الحق التي صدحا بيها قد بقي عمله ويبقى معه الجزاء الأوفى الذي سيلحقه ثوابه في قبره الذي لن ينقطع حتى قيام الساعة.

الفصل الثاني

منهج وعقيدة الإمام ابن القيم الجوزية

المبحث الأول: عقيدتـــه ومنهجـــه

المبحث الثاني: نقده للفلاسفة والفكر الفلسفي

المبحث الثالث: نشأة الفرق الكلامية وتطورها

1. عقيدته ومنهجـــــه:

لقد وجد الإمام ابن القيم الجوزية في عصـر يسـوده الاضـطرابات الخارجية التي تهدد بانهدام دولة الإسـلام العظمى، ولذلك نراه يأمر بنبذ الفرقة والتمسـك بكتاب الله تعالى وسـنته صلى الله عليه وسلم .

كانت عقيدة الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى صافية لم يشبها أني تعكير صـادقا مع ربه، وكان يقول: ليس للعبد شيء أنفع من صدقه مع ربه في جميع أموره[1] .

من أهدافه الرجوع إلى منابع الدين سـهلا صـافيا لم تكدره أراء الأهل البدع والأهواء، ولمتشبه حيل المتلاعبين، فنادي بالرجوع إلى مذهب السلف الدين تلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم بلا وسـاطة، فهم ورثة النبي الأكرم صـلى الله عليه وسـلم، فرسـولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم لم يورث دينارا ولا درهما، وإنما ورث العلم.

ولقد دعا الإمام ابن قيم الجوزية إلى إبطال مذهب التقليد فكان رضي الله عنه يمتـــاز بقـــوة الشخصية، وعلى الرغم من أنه كان حنبليا إلا أنه كان كثيرا ما يخرج على الحنابلة، مستنبطا رأيا جديدا بعد دراسة مقارنة للمذاهب المشهورة.

وكان له رأي ثابت لا يتزحزح عنه في مسائل خالف فيها جميع المذاهب على الإطلاق فقـــد كان مبدؤه الاجتهاد ونبذ التقليد ،فلقد كان المجتهد المطلق يسير مع الحق،أينما سارت ركائبه فإنه قد حاول كثيرا يغســل عن وجه منازل الســائرين ما رآه عليه وعرفه هو فيه من وصــر الصوفية الجاهلية ،لكنه قد اعجز في كثير من المواضع أن يفلح في غسلها فأعترف بأنه إن كان يحب أبا إسماعيل الهروي لأنه حنبلي ولأنه ألف كتابه فـــي ذم التأويـــل فـــي الإســناد والصــفات ولكن الحق أحب إليه من الهروي ومئات من أمثال الهروي بل أن الحق

[1] ابن قيم الجوزية: والفوائد، الطبعة الثانية، الزهراء للإعلام العربي القاهرة (مصر)،2004 ص: 225

أحب إلى الشيخ ابن قيم الجوزية من نفسه التي بين جنبيه فطالما بذلها هينة رخيصة عليه في سبيل أعلاه كلمة الله التي كانت أغلى عنده واجب إليه من نفسه[1] .

وكان اتجاهه في التشريع: القرآن والسنة وعمل الصحابة مع رأي صائب في النظر والاستدلال.

وعني بتهذيب النفوس والأخلاق والتأدب بأدب المتقين الصادقين .

ولقد كان أهم ما يميزه الدعوة إلى التحرر الفكري، إذا كان المجتمع الذي يعيش فيه محتاجا إلى التحرر، فمن هذا أخذ حرية مبدأ التعاقد، واعتبر عمل الفضولي في المصلحة، إذ هناك مسؤولية اجتماعية يرتبط بها المواطنون.

أما منهج الإمام الجليل ابن قيم الجوزية في الفقه: فهو الارتفاع بشأن النصوص لا يفرع عليها حوادث لم تقع.

أما في استنباط الأحكام: فقد اعتمد على كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والإجماع وفتوى الصحابة رضوان الله عليهم والقياس واستصحاب الأصل والمصالح المرسلة، وسد الذرائع والعرف

كما كان ابن قيم الجوزية داعية ومصلحا فنشاطه يعتبر امتدادا لجهاد شيخه، وواصل المسيرة بالدعوة، فرأى أنه قد حان الوقت للهجوم المباشر بدل الدفاع عند نقطة الحدود لأن الاكتفاء بالدفاع المجرد قد يشعر بالضعف فهاجم المتكلمين والطوائف في عقر دارها[2].

وهذا تحديدا ما تطرقنا إليه في الفصل الأخير من محتوى المذكرة ومسيرة ابن القيم الجوزية في تجديد القرن السابع الهجري، هي امتداد لتجديد القرن الثالث الهجري الذي قام به الإمام الشيباني .

---

[1] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ص: 09

[2] محمد أمان بن على الجامي: العقيدة الإسلامية وتاريخها، دار المنهاج القاهرة (مصر) 2004، ص: 116

2. نقده للفلاسفة والفكر الفلسفي:

أن الفلسفة هو محبة الحكمة والفيلسوف محب الحكمة، والحكمة نوعان: قولية وفعلية.

فالقولية، قول الحق، والفعلية فعل الصواب وكل طائفة لهم حكمة يتقيدون بها.

وأصح الطوائف حكمة: من كانت حكمتهم أقرب إلى حكمة الرسل التي جاؤا بها عن الله تعالى قال الله تعالى عن نبيه داود عليه السلام: «وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب»[1] وقال عن المسيح عليه السلام: وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨ [2]

وقال عن يحي عليه السلام: يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ٣١٢ [3] .

وقال لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم: وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣[4].

فالحكمة التي جاءت بها الرسل: هي الحكمة الحق المتضمنة للعلم النافع، والعمل الصالح للهدي ودين الحق لإصابة اعتقادا وقولا وعملا، وهذه الحكمة فرقها الله سبحانه بين أنبيائه ورسله وجمعها لمحمد صلى الله عليه وسلم ...

والمقصود أن الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها.

والفلاسفة لا تختص بأمة من الأمم، بل هم موجودون في سائر الأمم، وإن كان المعروف عند الناس الذين اعتنوا بحكاية مقالاتهم: هم فلاسفة اليونان، فهم طائفة من طوائف الفلاسفة، وهؤلاء أمة من الأمم لهم مملكة وملوك وعلمائهم وفلاسفتهم ومن ملوكهم الإسكندر المقدوني وهو ابن فيلبس ومن فلاسفتهم سقراط الذي قال: إنه إله كل شيء وخالقه، ومقدره، وهو عزيز أي منبع ممتنع أن يضام وحكيم أي محكم أفعاله على النظام.

---

[1] سورة ص: الآية 20

[2] سورة آل عمران: الآية 48

[3] سورة مريم: الآية 12

[4] سورة النساء: الآية 113

وقال: إن علمه وقدرته ووجوده وحكمته بلا نهاية لا يبلغ العقل أن يصفها.

وقال: إن تناهي المخلوقات بحساب الاحتمال القوابل لا بحسب الحكمة والقدرة فلما كانت المادة لا تحتمل صور بلا نهاية تناهت الصور لا من جهة بخل في الواهب، بل لقصور في المادة.

قال :وعن هذا اقتضت الحكمة الإلهية أنها وإن تناهت ذاتا وصورة وحيزا ومكانا إلا أنها لا تتناهي زمانا في آخرها، لا من نحو أولها، فاقتضت الحكمة استبقاء الأشخاص باستبقاء الأنواع، وذلك بتجدد أمثالها ليحفظ الأشخاص ببقاء الأنواع، وسيبقى الأنواع بتجدد الأشخاص، فلا تبلغ القدرة إلى حد النهاية ولا الحكمة تقف على غاية[1] .

ومن مذهبه: أن أخص ما يوصف به الرب سبحانه هو كونه حيا قيوما فيما صفتان جامعتان للكل.

وكان يقول: هو حي ناطق من جوهره، أي من ذاته وحياته، ونطقنا وحيا لا من جوهرنا ولهذا يتطرق إلى حياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد ولا يتطرق ذلك إلى حياته ونطقه.

وكان يقول: إذا أقبلت الحكمة خدمت الشهوات العقول، وإذا أدبرت خدمت العقول الشهوات

وقال: لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم.

وقال :ينبغي أن يغتم بالحياة ويفرح بالموت، لأن الإنسان يحيا ليموت ثم يموت ليحيا.

وقال: للحياة حدان: أحدهما: الأمل، والأخر الأجل. فبالأول بقاؤها وبالآخر فناوها...

وكذلك أفلاطون كان معروفا بالتوحيد، وإنكار عبادة الأصنام، وإثبات حدوث العالم كان تلميذ سقراط، ولما هلك قام مقامه وجلس على كرسيه.

وكان يقول: إن للعالم صانعا محدثا، مبدعا أزليا واجبا بذاته عالما بجميع المعلومات.

قال: وليس في الوجود رسم ولا طلل إلا ومثاله عند الباري تعالى

[1] ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، دار ابن الهيثم القاهرة، 2004، ص (472،477)

(يشير إلى وجود صور المعلومات في علمه).

فهو مثبت للصفات وحدوث العالم، ومنكر لعبادة الأصنام ولكن لم يواجه قومه بالرد عليهم، وعيب ألهتهم فسكتوا عنه وكانوا يعرفون فضله وعلمه وعمله.

وصرح أفلاطون بحدوث العالم، وحكي ذلك عنه تلميذه أرسطو وخالفه فيه فزعم أنه قديم، وأرسطو هو المعلم الأول كما يسميه أتباعه من الفلاسفة والملحدين، لأنه هو أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، وزعم هو وأتباعه أن المنطق هو ميزان المعاني وقد بين نظار الإسلام فساد هذا الميزان، وعوجه وتعويجه للعقول، وتخبيطه للأذهان.

والمقصود أن الملاحدة درجت على أثر هذا المعلم، حتى انتهت نوبتهم إلى المعلم الثاني أبي نصر الفارابي، فوضع لهم التعاليم الصوتية، كما أن المعلم الأول وضع لهم التعاليم الحرفية[1].

ثم وسع الفارابي في صناعة المنطق وبسطها وشرح فلسفة أرسطو، وهذبها وبالغ في ذلك وكان على طريقة سلفه من الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله.

فكل فيلسوف لا يكون عند هؤلاء كذلك ليس بفيلسوف في الحقيقة، وإذا رآه مؤمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، متقيدا بشريعة الإسلام نسبوه إلى الجبل والغباوة، فإن كان ممن لا يشكون في فضيلته ومعرفته نسبوه إلى التلبيس والتنميس بناموس الدين استمالة لقلوب العوام.

فالزندقة والإلحاد عند هؤلاء من مسمى الفضيلة، أو شرط .

ويقرر ابن سينا أن الله تعالى هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، وليس عندهم صفة ثبوتية تقوم به، ولا تفعل شيئا باختياره البتة، ولا يعلم شيئا من الموجودات أصلا لا يعلم عند الأفلاك، ولا شيئا من المغيبات ولا له كلام يقوم به ولا صفة.

[1] ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ص (477،478)

ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدر في الذهن لا حقيقة له وإنما غايتـــه أن يفرضـــه الذهن وبقدره كما يفرض الأشياء المقدرة، وليس هذا هو الرب الذي دعت إليه الرسل وعرفته الأمم، بل بين هذا الرب الذي دعت إليه الملاحدة، وجردته عن الماهية وعن كـــل صـــفة ثبوتية وكل فعل اختياري وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصـــل به ولا مباين له ولا فوقه ولا تحته ولا أمامه ولا خلفه ولاعن يمينه ولاعن شـــماله، وبين رب العالمين وإله المرســـلين، ومن الفرق ما بين الوجود والعلم والنفي والإثبات[1] .

فأي موجود فرض، كان أكمل من هذا الإله الذي دعا إليه الملاحدة ونحتتـه أفكـار هـم بـــــل منحوت الأيدي من الأصـنام له وجود وهذا الرب ليس له وجود ويسـتحيل وجوده في الذهن .

هذا وقول هؤلاء الملاحدة أصلح من قول معلمهم الأول أرسطو فان هؤلاء اثبتوا وجودا ممكنا هو معلول له، وصادر عنه صدور المعلول عن العلة، وأما أرسطو فلم يثبته إلا مـــن جهة كونه مبدأ عقليا للكثرة وعلة غائية لحركة الفلك فقط وصـرح بأنه لا يعقل شـيئا ولا يفعل باختياره .

وأما هذا الذي يوجد في كتب المتأخرين من حكاية مذهبه فإنما هو من صـنع ابن سينا فإنـه قرب مذهب سلفه الملاحدة من دين الإسلام بجهده وغاية ما أمكنه أن قربـه مـن أقـوال الجهمية الغالين في التجهم.

وأما الإيمان بالملائكة فهم لا يعرفون الملائكة، ولا يؤمنون بهم إنما الملائكة عندهم ما يتصوره النبي بزعمهم في نفسه من أشكال نورانية، هي العقول عندهم وأما الكتـب، فليس الله عندهم كلام انزله إلى الأرض بواسطة الملك، فإنه ما قال شيئا، ولا يقول، ولا يجـوز عليـه الكلام، ومن تقرب منهم إلى المســـلمين يقول: الكتب المنزلة فيض فاض من العقل على النفس المستعدة الفاضلة الزكية فتصورت تلك المعاني وتشكلت في نفسه بحيث توهمهـــا

[1] نفس المصدر السابق، ص: (474،475)

أصـــواتا تخاطبه وربما قوى الوهم حتى براها أشـــكالا نورانية تخاطبه، وربما قوى ذلك حتى يتخيلها لبعض الحاضـرين فيرونها ويسـمعونه خطابها، ولا حقيقة شـيء من ذلك في الخارج[1]

وأما الرسل والأنبياء فللنبوة عندهم ثلاث خصائص، من استكملها فهو نبي:

أحدها: قوة الحدس بحيث يدرك الحد الأوسط بسرعة.

الثانية: قوة التخيل والتخييل بحيث في نفسـه أشـكالا نورانية تخاطبه، ويسـمع الخطاب منها ويخيلها إلى غيره .

الثالثة: قوة التأثير بالتصرف في هيولى العالم، وهكذا يكون عنـدهم بتجـرد الـنفس عـن العلائق واتصالها بالمفارقات من العقول والنفوس المجردة.

وهذه الخصـائص تحصـل بالاكتسـاب والنبوة عند هؤلاء صـنعة من الصـنائع، بل من أشـــرف الصنائع كالسياسة، بل هي سياسة العامة وكثير منهم لا يرضى بها ويقول الفلســفة نبوة الخاصة والنبوة: فلسفة العامة .

وأما الإيمان باليوم الآخر فهم لا يقرون به جملة وتفصيلا.

وحسبك عجبا من جهلهم وضلالهم ما قالوه في سلسلة الموجودات وصدور العـالم عـن العقول والنفوس إلى أن صدور ذلك إلى واحد من كل جهة ولا علم له بما صدر عنه ولا فتره له عليه ولا إرادة وأنه لم يصـــــدر عنه إلا واحد مثله وتكثر الموجودات وتعددها يكذب هذا الرأي الذي هو ضحكة للعقلاء وسخرية لأولي الألباب، مع أن هذا كله من تخطيط ابن سينا وإرادته تقريب هذا المذهب من الشرائع هيهات وإلا المعلم الأول لم يثبت صانعا للعالم البتة.

والرجل معطل مشرك جاحد للنبوات والمعاد، لا مبدأ عنده ولا معاد ولا رسول ولا كتـاب وأبو بكر الرازي وأتباعه لا يعرفون مذهب الفلاسفة غير طريقه.

ومذاهبهم وأرائهم كثيرة جدا قد حكاها أصـحاب المقالات كالأشـعري في مقالاته الكبيرة وأبي عيسى الوراق والحسن بن موسى النوبختي.

[1] ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ص (475)

وأبو الوليد بن رشد في كتابه مناهج الأدلة يحكى مذهب أرسطو غير ماحكـــاه ابـــن سـينا، ويغلطه في كثير من المواضيع، وكذلك أبو البركات البغدادي يحكي نفس كلامه على غير ما يحكيه ابن سينا.

وهناك أيضـا أصـحاب الرواق، وأصـحاب الظلة، الموشـاؤون، وهم شـيعة أرسـطو وفلسـفتهم هـــي الدائرة اليوم بين الناس وهي التي يحكيها ابن سـينا والفارابي وابن خطيب وغيرهم.

ومنهم الفيثاغورية والأفلاطونية ولا تكاد تجد منهم اثنين متفقين علـى رأي واحـد بل قـد تلاعب بهم الشـيطان كتلاعب الصـبيان بالكرة مقالاتهم أكثر من أن نذكرها على التفصـيل وإجمالا: فإنهم عطلوا الشرائع وفرقوا المصنوع عن الصانع ونفوا عن الصانع صفات كماله وفصلوا العالم عن الحق الذي خلق له ربه فعطلوه عن مبدئه وميعاده وعن فاعله وغايته.

3. نشأة الفرق الكلامية وتطورها

تمهيد:

لقد مضى العصر الأول للصحابة عليهم رضوان الله وهم مجتمعون على نهـــج واحد وهو العمل بالكتاب والسنة عقيدة وشريعة وكذلك التابعون الذين ورثوا علم الصحابة.

بيد أنه قد حدث في أواخر أيام الصحابة القول بالقدر، كما ظهرت الخوارج في أيامهم وتشـــيعت الشـــيعة. ولقد تكلمنا في هذا المبحث عن كل من: الشـــيعة، القدرية، الجهمية، المعتزلة والأشعرية ونحن بصدد الحديث عن هذه الفرق تجنبنا سرد الروايات، وارتأينا الحديث المباشـر فـي أصل كل فرقة وأصحابها دون تحديد تاريخ مواليدهم أو أماكنها ليس جهلا منا تجنبا للإطناب وحيادا عنه وإبعاد الملل عن المتصـفح لهاته السـطور أو هاته الأوراق ولمن أراد المزيـــد أو المعرفة أكثر عن هاته الفرق عليه مطالعة أمهات الكتب أو تصفحها على شاشة النت .

وبحديثنا عن هاته الفرق ذكرنا فقط المسائل الأساسية التي كانت تدعوا إليها والتـــي محل خلاف مع أصحاب المذاهب الأخرى وخاصة أهل السنة في كل عصر .

لأنه لو تحدثنا عن كل شيء فيما يخص كل فرقة لمـا كانـت لنـا أوراق المذكرة كلهـا ولخصصنا لها موضوعا شاملا كاملا لأن الحديث في مثل هذه المواضيع يطول ويطول.

ولقد خصصنا لكل فرقة من هذه الفرق السالفة الذكر صفحة أو صفحتين على الأكثر لأننا لن نكتفي بهذا القدر وسوف نتكلم عنها في الفصل الثالث والأخير من خلال نقد الإمام ابن قيم الجوزية لبعض منها وخاصة الجهمية والقدرية والمعطلة.

1.3. الشيعة:

من الفرق التي ظهرت في أواخر أيام الصـحابة وفي عهد الإمام علي رضـي الله عنه بالتحديد والتي بدأت غلوها بحب علي بن أبي طالب والتشيع له إلى حد المبالغة والتي انتهت ببعضهم إلى تأليهه وعبادة مما حد يعلي رضـي الله عنه إلى إحراق جماعة منهم بالنار حيث

لم يجـــد بدأ من ذلك إذ لم يؤثر فيهم الإنكار الشديد والمتكرر فأنشد على رضي الله عنه في ذلك[1] :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري ودعوت قنبرا

وســـبب كل هذا يهودي خبيث يدعى عبد الله بن وهب بن ســـبا وهو من اليهود الذين كانوا بصـنعاء باليمن أراد إفسـاد بمكره وخبثه كما فعل بولس بالنصـرانية أو بدين النصـرانية فأظهر التنســـك ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ســـعى في فتنة عثمان وقتله ثم لـم قدم على الكوفة أظهر الغلو في علي والنصر له ليتمكن من ذلك بأغراضه وبلغ ذلك علـــــي كرم الله وجهه فطلب قتله، فهرب منه إلى قرقيس" [2] لأنه أحدث القول بالوصية وصية الرسول لعلي رضي الله عنه بالإمامة من بعده وأنه هو خليفته على أمته بالنص.

كما أحدث القول بالرجعة، بل زعم أن عليا رضي الله عنه لم يقتل بل لا يـزال حيـا بـل لا يمكن أن يموت لأن فيه الجزء الإلهي وأنه هو الذي يأتي من السحاب فيكـــون الرعـــد صوته...إلى آخر تلك الخرافات التي تحكيها بعض مصادر القوم ومن تأثروا بهم.

حتى عرفت هذه العقيدة عندهم بعقيدة "الرجعة " أحدثها اليهودي "ابن ســـبـــأ كيـــدا للإسلام والمسلمين ولما آل البيت الطيبين فبريئون منه، ثم تبنى هذه العقيدة الفاسدة الروافض والشيعة بجميع فرقها على عقيدة الاعتزال في باب الأسماء والصفات[3].

2.3. القدرية:

المراد بها نفاة القدر، هم أتباع "معبد الجهني" وقد تطلق هذه اللفظة أحيانا على الغلاة في اثبات القدر والذين بلغ بهم من الغلو في القدر إلى القول بأن العبد مـجبـور علـى أمـالـه الاختيارية يفعلها دون اختياره بل لا قدرة له على أعماله وهم المعروفون بالجبرية لأن القدرية

[1] محمد أمان بن علي الجامي: العقيدة الإسلامية، ص:63

[2] صدر الدين علي بن أبي العز الحلقي: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية 1998، ص :502

[3] محمد أمان بن على الجامي العقيدة الإسلامية ص:63

بالمفهوم المعاكس "الجبرية تجعل العبد مجبورا إلى الأعمال من خير أو شـر ثم يجاري خيرا أو شر.

نادي معبد الجهني بعقيدة القدرية لأول مرة في البصـرة في أواخر أيام الصـحابة فنفى علم الله السابق، وكتابه ومشيئته العامة وصرح بأن الله لم يعلم المقادير إلا بعد وقوعها فضلا عن أن يكتبها أو يشاهدها بل العباد يستأنفون أعمالهم من عند أنفسهم أي يعملونها دون علم من الله بتلك الأعمال إلا بعد أن يحدثها العباد فلا تعد أفعال العباد من مقدورات الله عز وجل وإنما يختلفون: هل الله قادر على مثل أعمالهم أم لا؟

وهكذا بالغوا في نفي القدر، كما بالغوا في إثبات قدرة العبد حتى جعلوه خالقا من دون الله عز وجل، حيث يسـتقل كل عبد بخلق أفعاله دون أن تتدخل قدرة الله في أفعاله الاختيارية.

ويشهدون أن الذنوب هم الذين أحدثوها، وأنها واقعة بمشيئتهم دون مشيئة الله تعـالى وأن الله لم يقدر ذلك عليهم ولم يكتبه ولا شاء ولا خلق أفعالهم وأنه لا يقدر أن يهدي أحدا ولا يضله إلا بمجرد البيان لا أنه يلهمه الهدى والضلال والفجور فيفعل ذلك في قلبه.

ويشـهدون أنه يكون في ملك الله مالا يشـاؤه وأنه يشـاء مالا يكون وأن العباد خالقون لأفعالهم بدون مشيئة الله.

فالمعاصي والذنوب خلقهم وموجب مشيئتهم، لا أنها خلق الله ولا تتعلق بمشيئته.

وفكرة القدرية دخيلة لأن معبدا الجهني الذي أظهرها إنما أخذها من شـخص مجهول يقال لـه: "أبو يونس الأساوري" فتبناها معبد الجهني، وعظمت به الفتنة في البصرة ومـا جاورها فعذبه الحجاج "ابن يوسف الثقفي" بأمر من "عبد الملك بن مروان الأموي وكان ذلك سنة ثمانين من الهجرة...

❖ **موقف بعض الصحابة الذين حضروا هذه البدعة :**

ولما ظهرت القدرية بادر علماء السلف من الصحابة والتابعين إلى إنكار بدعة القدرية والتحذير منها والتبرؤ منها ومن أهلها، وذموها وبينوا للناس خطورتها على الإيمان بالله تعالى، لأن الإيمان بالقدر نظام التوحيد.

هذا وذكرت بعض مصادر التاريخ والسير أن "عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما بلغته مقالة معيد الجهني تبرأ منه ومن مقولته المذكرة وأعلن ذلك في الناس ونقل مثل ذلك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بل تمنى أن لو تمكن من أحد منهم حتى يدخل رقبته في يده فيدقها حتى الموت أو يجدع أنفه على الأقل وكان يومئذ قد عمي.

والقدرية هم مجوس هذه الأمة كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم يقولون أن الحيوان هو الذي يخلق أفعاله وأنها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته ولهذا كانوا من أشباه المجوس[1].

وبهذا يثبتون خالقين كثيرين إذ كل عبد من الجن والإنس والملائكة يخلق أفعال نفسه الاختيارية [2].

3.3. الجهمية:

ظهرت بعد عصر الصحابة في أوائل المائة الثانية وأول من أحدثه الجعد بن درهم حيث سمع منه لأول مرة في الإسلام القول بأن الله تعالى لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما لأنهم أنكروا حقيقة المحبة من الجانبين لأنه وحسبهم المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب وانه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة وكذلك أنكروا حقيقة التكليم كما تقدم والله قال في كتابه العزيزوَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ

[1] ابن قيم الجوزية: الداء والدواء، الطبعة الأولى، دار الرشيد، الجزائر ،2007، ص: 173

[2] محمد بن علي الجامي: العقيدة الإسلامية، ص:65

مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥ [1] وقال أيضا (وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤[2]

فأفتى علماء التابعين بكفره لتكذيبه كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فطورد حتى قبض عليه ثم أخذ إلى مصلى العيد يوم عيد الأضحى.

فضحى به خالد بن عبد الله القسري أمير العراق والمشرق خطب الناس يوم الأضحى فقال: أيها الناس ضحوا تقبل الله أضاحيكم، فاني مضحي بالجعد بن درهم، ثم نزل فذبحه وكان ذلك بفتوى أهل زمانه وقبل أن يهلك الجعد بن درهم أخذ عنه هذه العقيدة "جهم بن صفوان فأظهرها ودعا إليها حتى انتشرت ولذا أضيفت إليه دون الأول فقيل :العقيدة الجهمية.

وإذا أردنا أن نعرف سند هذه العقيدة الجهمية، فإن جعدا أخذها عن أبان بن سمعان عن طالوت ابن اخت لبيد الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى كل فإن جهما قد أخذ يدعو إليها ويناظر دونها، حتى عظمت به الفتنة وأخذ يشكك كثير من الناس في صفات الله تعالى، إذ كان ينفي صفات الكمال جملة وتفصيلا.

فأوهم الناس أن إثبات الصفات يتنافى والتنزيه.

وكان يقول إن إثبات الصفات والأسماء الله تعالى إنما يعني تعدد القدماء، ولا قديم إلا الله والجهمية يقولون: أن الله تعالى صار قادرا على الفعل والكلام، بعد أن لم يكن قادرا عليه لكونه صار الكلام والفعل ممكنا بعد أن كان ممتنعا، وأنه انقلب من الإمتاع الذاتي إلى الإمكان الذاتي.

وهم يقولون أيضا إن دوام الحوادث ممتنع وانه يجب أن يكون للحوادث مبدأ لامتناع حوادث لا أول لها فيمتنع أن يكون الباري عز وجل لم يزل فاعلا متكلما بمشيئته بل يمتنع أن يكون قادرا على ذلك.

---

[1] سورة النساء: الآية 125

[2] سورة النساء: الآية 164

وقد نفى الجهم ومن وافقه كل ما وصف الله به نفسه، من كلامه ورضاه وغضبه وحبه وبغضه وأسفه ونحو ذلك وقالوا إنما هي أمور مخلوقة منفصلة عنه ليس هو في نفسه متصفا بشيء من ذلك؟

وهم قالوا لا يتكلم إذا شاء ولا يضحك إذا شاء، ولا يغضب إذا شاء ولا يرضى إذا شاء.

4.3. المعتزلة:

وبينما أهل السنة في مكافحة التجهم والتحذير منه حدثت فتنة أخرى قريبة من فتنة الجهمية وهي "عقيدة الاعتزال.

وقد حدثت في أيام "الحسن البصري التابعي المعروف، إذ كان "واصل بن عطاء من جلساء الإمام الحسن إلى أن سأله يوما عن مكانة مرتكب الكبيرة أيبقى مؤمنا أم يخرج من الملة فأجابه الحسن البصري أنه لا يخرج من الملة ولا يكفر ويبقى مؤمنا ولكن عليه أن يتوب إلى الله فاعترض واصل بن عطاء عن هذه الإجابة وأعطى رأيا آخر هو: أن الفاعل للكبيرة ليس بمؤمن مطلقا ولا بكافر مطلقا وإنما هناك منزلة بين منزلة الإيمان والكفر يندرج ويدخل فيها فاعل الكبيرة[1].

وبهذا الرأي قام واصل بن عطاء واعتزل مجلس الحسن البصري لكنه لم يذهب بعيدا عن المسجد وتابعه صاحبه "عمرو بن عبيد".

والمعتزلة يزعمون أن القرآن مخلوق واستدلوا بالآية الكريمة قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢[2] وأن القرآن يقع تحتها.

وهم ينفون الصفات عن الله عزوجل لأنهم وحسبهم أثبات الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء على حد زعمهم.

[1] بن علي الجامي: العقيدة الإسلامية، ص :71

[2] سورة الزمر: الآية 62

وقد انفردت المعتزلة بتطوير مذهبها دون ســـائر الطوائف، حيث زعموا وجوب التزام الأصول الخمسة التي سوف نذكرها الأن:

-الأصل الأول: التوحيد

ولا يكتمل حســبهم إيمان المرء إلا بالقول والاعتقاد بخلق القرآن الكريم والدليل حســب فهمهم للآية الكريمة التي يتمحور معناها أن الله هو خالق كل شيء، ونفي الصفات.

- الأصل الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فاستباحوا الخوض في أعراض صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جرى بينهم من الأمور الاجتهادية التي سببت الخلاف بينهم.

وقالوا علينا أن نأمر غيرنا بما أمرنا وأن نلزمه بما يلزمنا وذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وضمنوه أنه يجوز الخروج على الأئمة بالقتال إذا جاروا .

- الأصيل الثالث: القول والمنزلة بين المنزلتين:

فعندهم أن من ارتكب كبيرة يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر هذا في أحكام الدنيا أمـــــا في الآخرة فإنهم يزعمون أن مرتكب الكبيرة الذي مات قبل التوبة يدخل في النار في زعمهم خالدا مخلدا مع الكفار.

- الأصل الرابع: العدل :

فستروا تحته نفي القدر وقالوا أن الله لا يخلق الشر ولا يقضي به، إذ لو خلقه ثم يعذبه عليه يكون ذلك جورا.

وحسبهم يجب الاعتقاد أيضا بأنه يجب على الله عز وجل فعل الأصـــلح، فالأصـــلح للعباد بحيث لو لم يفعل ذلك يكون ظالما.

- الأصل الخامس: وجوب تنفيذ الوعد والوعيد :

فيزعمون أنه يجب على الله أن يثيب المطيع كما وعد وأن يعاقب العاصي كما أوعد.

والوعيد عندهم أنه: إذا أوعد بعض عبيده وعيدا فلا يجوز أن لا يعذبهم ويخلف وعيده لأنه لا يخلف الميعاد فلا يعفو عمن يشاء ولا يغفر لمن يريد.

وكخلاصة لما تقدم نقول: أن المعتزلة بنوا أصل دينهم على الجسم والعرض الذي هو الموصوف والصفة عندهم، واحتجوا بالصفات التي هي الأعراض على حدوث الموصوف الذي هو الجسم، وتكلموا في التوحيد على هذا الأصل فنفوا عن الله كل صفة تشبيها بالصفات الموجودة في الموصوفات التي هي الأجسام، ثم تكلموا بعد ذلك في أفعاله التي هي القدر وسموا ذلك العدل، وقبله تكلموا في إلزام الغير وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم المنزلة بين المنزلتين وأخيرا إنفاذ الوعيد[1].

وتجدر بنا الإشارة في الأخير أنه وبسببهم حدثت المحنة التي عرفت ب: محنة خلق القرآن أيام المأمون العباسي ابن هارون الرشيد.

5.3. الأشعرية:

أن الحديث عن الأشعرية يتطلب أولا الحديث عن أبي حسن الأشعري كان أبو الحسن يعيش في العراق وتربى في حجر إمام معتزلي هو محمد بن عبد الوهاب الجبائي وهو زوج وهو المعروف بأبي على الجبائي وتعلم عليه ولازمه عدة أعوام كما نقيد مصادر التاريخ وكتب التراجم حتى صار إماما في الاعتزال.

في أحد الأيام ناظر الإمام الحسن شيخه في مسائل علم الكلام واختلف معه في بعض تلك المسائل، كالقول بوجوب فعل الأصلح على الله للعباد وأقصد هنا (حكاية الصبي) والحكاية معروفة لذا لا داعي لسردها وغيرها من المسائل فظهر له بطلان مذهب الاعتزال فتركه ثم سلك مذهب أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب بعد النظر فيه والتفكير الطويل

[1] أبى العز الحنفي: شرح الطحاوية، ص:277،278

إذ رآه خيرا من مذهب الاعتزال نوعا ما لأنه يثبت بعض صـفات الله تعالى وهي الصـفات العقلية [1].

ثم إن ابن كلاب لا يقول بوجوب الأصـلح على الله في شـيء فنهج على منواله واعتقد عقيدته في باب الأسـماء والصـفات والقدر وأثبت أن العقل لا يثبت ولا يوجب المعارف قبل الشرع وأن العلوم وإن حصلت بالعقل ولكنها لا تجب إلا بالشرع، وأن الله لا يجب عليه شيء بل إن أنعم الله فبفضله وإن عذب فبعدله.

ويؤمن مذهب ابن كلاب بأن النبوات من الجائزات العقلية والواجبات الشـرعية إلى غير ذلك من المسائل التي خالف فيها شيخه الجبائي لهذا أو لغيره من الأسباب اختـار أبـو الحسـن مذهب ابن كلاب إلا أن شـهرة الأشـعري غلبت على ابن كلاب حتى قيل مذهب الأشعري بدل أن يقال مذهب الكلابي.

وقد تبع أبا الحسـن الأشـعري جماعة من الفقهاء مثل: القاضـي أبي بكر الباقلاني المـالكي والشـهر سـتاني صـاحب الملل والإمام الرازي الطبيب، والإمام الغزالي ووالد إمام الحرمين وإمام الحرمين.

[1] بن علي الجامي: العقيدة الإسلامية، ص:72

كلمة الفصل الثاني:

إن اســـوء ما بليت بيه هذه الأمة هذا التفرق والتشـــرذم الذي تبعه تعصـــب كل فرقة ومريديها الى شيخهم ولو كان على ضـلالة فا كان ديدن كل فرقة أنها ناجية لقوله صـل الله عليه وسلم في انقسام امته إلى فرقا جميعها في النار إلى واحدة في الجنة وكأنهم تعاهدوا مع قسم إبليس عليه لعنة الله في توعده إلى بث التفرقة وتحزب بعضهم في حزبه.

إلى بوادر لم الشمل والعودة إلى دين الله الحق أصبحت طريقه وعرة وضبابية وصعبت المســلك فالقابض على دينه كالقابض على الجمر لقد تراءى زمن الفتن كقطع الليل فيوشــك أن يصبح المؤمن مؤمنا ويمسي كافرا وليس ذلك ببعيد (نسأل الله السلامة).

أنما نتج عن هذا التفرق ضـــعف وهوان وموالاة للكفار مراعاة لمصـــالحها ومزيدا من القوة على من؟ على أبناء الملة الواحدة ملة التوحيد.

لقد عادت أيام الفرس والروم وانقســام قبائل الأوثان في عبادة أحدهما مولاة له وعبودية لبلاطه.

انما يحز في نفس ما نراه اليوم من هوان وشـــتات وحروب طائفية وخطابات كراهية وعنصرية مقيتة بين أبناء الدين الواحد.

فنسأل الله أيام عز كأيام عمر وابي بكر.

الفصل الثالث

نقده للفرق الكلامية

المبحث الأول: نقـــده للجهميـــة

المبحث الثاني: نقـــده للمعطلـــة

المبحث الثالث: نقـــده للقدريـــة

نقده للفرق الكلامية :

1.نقده للجهمية:

يقول الإمام ابن قيم الجوزية:

إن نفي معاني أسماء الله الحسنى من أعظم الإلحاد فيها، قال الله تعالى: وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٨٠[1]

إن أسماء الله الحسنى لو لم تدل على معان وأوصاف لم يجز أن يخبر عنها بمصادرها ويوصف بها، لكن الله أخبر عن نفسه بمصادرها، وأثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

قوله عز وجل (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)[2] فعلم أن القوي من أسمائه ومعناه الموصوف بالقوة.[3]

ويضيف إلى هذا القول قوله عز وجل: مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ١٠[4]

فالعزيز من له العزة فلولا ثبوت العزة والقوة له لم يسم قويا ولا عزيزا

وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[5].

---

[1] سورة الأعراف: الآية 180

[2] سورة الذاريات: الآية 85

[3] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ص:35

[4] سورة فاطر: الآية 10

[5] اخرجه مسلم (294،295)

والصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال، وعن العيوب والنقائص وفي نفيها تقصير في حق الله عزوجل.

والله تبارك وتعالى ذم آلهة الكفار وعابها بسلب أوصاف الكمال عنها، فعابها بأنها لا تسمع ولا تبصر، ولا تتكلم ولا تهدي، ولا تنفع ولا تضر، وهذه صفة إله الجهمية.

وإذا احتجنا إلى التوضيح أكثر، نستشهد بما حكاه الله عز وجل عن خليله إبراهيم عليه السلام في محاجته لأبيه قال الله تعالى: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ٤٢ [1] فلو كان إله إبراهيم بهذه الصفة والمثابة، لقال له "آزر": وأنت إلهك بهذه المثابة فكيف تتكر على؟ لكن كان مع شركه- أعرف بالله من الجهمية.

ومن المهم جدا في هذا النقد أن تتناول قضية التكلم والتكليم، لأنها قضية جوهرية عالجها ابن القيم بإسهاب كبير، ولا يسعنا في هذا المقام أن نورد كل ما قاله أو كتبه لأن الكلام فيها يطول، لكننا سوف نتعرض لجزء نراه مهما ويغنينا عن التطرق لجميع مواضع النقد التي تناولها ابن القيم في كتابه والتي أشار إليها عالمنا الجليل رحمه الله.

قال الله تعالى: وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٧٦ [2] فجعل نفي صفة الكلام موجبا لبطلان الإلوهية.

وكإضافة نقول: أن هذا الأمر معلوم بالقطر والعقول السليمة والكتب السماوية، أن فاقد صفات الكمال لا يكون إلها.

[1] سورة مريم: الآية 42

[2] سورة النحل: الآية 76

2. نقده للمعطلة:

إن قطب رحى التوحيد مبين لحقائق أسمائه وكمال أوصافه، فالمعطل يعبد عدما والممثل يعبد صنما، والموحد يعبد ربا ليس كمثله شيء .

فالمعطلة اعتمدوا على شبهات فاسدة ظنوها معقولات صحيحة، فحرفوا النصوص عن مواضعها، كالتأويل الفاسد.

يقول ابن قيم الجوزية في كتاب الصواعق المرسلة: قال الله عزوجل: (فلما أفل)[1] تأولوا بالحركة، وقالوا استدل بحركته على بطلان ربوبيته، ولا يعرف في اللغة التي نزل بها القرآن أن الأفول هو الحركة[2] .

ونقول ان هذا النوع من التأويل هو تحريف وتعطيل الرب حل جلاله عن صفات كماله.

بها القرآن أن الأقوال هو الحركة ونقول أن هذا النوع من التأويل هو تحريف وتعطيل الرب جل جلاله إن المعطلة لم يجمعوا على إثبات صفات الله تبارك وتعالى التي وصف بها نفسه، فقال في كتابه العزيز: (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمان الرحيم)[3]

يتساءل ابن قيم الجوزية إن كانت الأسماء هنا تدل على معان ثابتة هي حق في نفسها أم لا تدل؟ فإن نفيت دلالتها على معنى ثابت كان ذلك غاية التعطيل.

ان التعطيل هو التلاعب بالنصوص وإساءة الظن بها.

---

[1] سورة الأنعام: الآية 76

[2] ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، الطبعة الأولى، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية 1408، ص:190

[3] سورة الحشر: الآية 22

وفي هذا الصدد علينا أن نشير إلى قضية خلق القرآن لأنها قضية مهمة أسالت الكثير من الحبر وازهقت من أجلها أرواح أحسن الرجال من التابعين أو تابعي التابعين.

فالقول بخلق القرآن، في اعتقادهم انطلاقا من الآية الكريمة والتي يحتجون بها وهذا في قوله عز وجل: (خالق كل شيء)[1] ، والقرآن يتضمن الدخول تحت هذه الآية حسبهم.

فالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله لم يقر بهذا الأمر، بل كان يقول انه كلام الله عز وجل المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكان نفس رأي إمامنا الجليل ومن قبله شيخه، شيخ الإسلام ابن تيمية.

لم نتوسع في هذا النقد واكتفينا بهذا القدر، لأنه لا يمكننا الإلمام بجميع نقاط النقد، فالأمر متشعب والحديث فيه يطول، لذا حاولنا الاختصار ليس هدفنا الشرح التام والتحليل ولكن هدفنا هو إعطاء بعض النقاط للقارئ، لتكون محورا أساسيا لأفكار ننسجها في ذاكرته لينطلق منها نحو البحث.

[1] سورة الزمر : الآية 62

3. نقده للقدريـــــة:

هناك مسالة أكثر أهمية يجب أن تتطرق إليها، أولا قبل تناول مسألة القدر ومسألة المحبة والمشيئة وهي:

قولهم في الله سبحانه وتعالى انه لا مباين ولا محايث ولا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته، ولا عن يمينه ولا عن يساره، ولا خلفه ولا أمامه ولا فيه ولا بائن عنه، أي جملة نوع ينفي مباينته لخلقه.

وفي هذا الشأن يرد ابن قيم الجوزية فيقول:

إثبات ربوبيته للعالم، فإن الربوبية المحضة تقتضي مباينة الرب للعالم بالذات، كما باينهم بالربوبية والصفات والأفعال، فمن لم يثبت ربا مباينا فما أثبت ربا فإنه إذا نفي المباينة لزمه أحد الأمرين لزوما لا انفكاك عنه البتة:

إما أن يكون هو نفس هذا العالم وحينئذ يصح قوله فإن العالم لا يباين ذاته ونفسه.

وإما أن يقول: ما ثم رب يكون مباينا ولا محايثا ولا داخلا ولا خارجا كما قالته الدهرية المعطلة للصائع[1] .

وزيادة على هذا الكلام وفي نظرنا نحن كيف يمكن لعاقل تصديق هذا الكلام الخطير في شأن الله جلا جلاله.

إلا أننا نؤمن إيمانا تاما أنهم مهما تعددت حججهم، فإنها ولا شك واهية واهنة كبيت العنكبوت، ومن أصدق من الله عز وجل حين قال: (وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)[2]

[1] ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين، ص:65

[2] سورة العنكبوت: الآية 07

وفي المشيئة تقول القدرية: أن الله تبارك وتعالى يشاء مالا يكون، ويكون مالا يشاء والمسلمون يجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وفي هذا الصدد يقول شيخنا الجليل رحمه الله:

قال الله تعالى: (إن تكفروا فإن الله عني ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم)[1]

والقدرية النفاة يشهدون أن هذه الجنايات والذنوب هم الذين أحدثوها وأنها واقعة بمشيئتهم، دون مشيئة الله تبارك وتعالى وأن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه لم يقدر عليهم ذلك ولم يكتبه ولا شاء ولا خلق أفعالهم.

فالمعاصي والذنوب خلقهم وموجب مشيئتهم، وهم بذلك مبخوسو الحظ جدا من الاستعانة بالله والتوكل عليه[2] .

[1] سورة الزمر: الآية 07

[2] ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ص248.

كلمة الفصل الثالث:

ان ما لم يكن زمن النبي صلى الله عليه وسلم دينا لن يكون بعده دينا وما سكت عن النبي صلى الله عليه وسلم في زمن لم يكن لي أحد الحق في الخوض فيه بعده ولا الدلو بدلوه فيه ففي كثرة سؤال مهلكة وان ترك الجدال ولو على الحق أكرم بمؤمن عز له ولدينه وقربا لقلوب اخوانه جمعا واعتصاما بحبل الله القويم.

ان المسائل التي تفرق فيها ها أولاء ما كانت يوم حجة أو مانعا لدخول الجنة أو نجاة واجتناب النار.

فما بني عليه الإسلام واضح وأوضحه ما عرف بهي الإيمان اما غيره من المسائل فما كانت الى خطة ممنهجة من أعداء الإسلام لتفرقة وبث العداوة في النفوس وكان الأحرص لم الشمل.

ان المحبة الزائفة وتعصب لأحد الصحابة لم يكن يوما دين وحتى لو كان نبيا لأنه لو كان نبي فما وسعه إلا إتباع محمد صلى الله عليه وسلم والصحابة منهم براء.

ان فهم كل فرقة للقرآن وننصه مبني أساس على شبهة وتكلم في ذات الله مما لا داعي له مجلبة للفرقة وليس احرص بالمؤمن من ترك الشبه وما يفهمه العلماء لن يفهمه العامة.

وعلى كل مؤمن كيس ان يلتزم بكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه وأن لا يأخذ من غيره ويكون مرجعه الأوحد قول نبيه لأن كل يؤخذ من قوله أو يرد إلا صاحب هذا القبر كما قال الإمام مالك رحمه الله.

خاتمة

الخاتمة:

محمد الله عز وجل على إتمامنا البحث فله الحمد في الأول والآخر إن ابن قيم الجوزية هو أحد من عظماء الأمة الذين كتبوا تاريخها وسطروا مجدها، فلم يبخلوا بأنفسهم في سبيل أن تحيا ويحيا معها نهج سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم خاليا من صروف الكلام فيما حرم الله وما يحيد بالناس عن الصراط المستقيم.

وفي سبيل إعلاء كلمة الدين ولكي تبقى كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلي. ولعل من أبرز النقاط التي خرجنا بها من هذا البحث والتي تمثل نتائج الدراسة البسيطة التي كانت فحوى موضوع مذكرتنا تحصرها في عدة أمور منها:

- تأثر السلف بالعقيدة الإسلامية قلبا وقالبا
- إتباع النهج المحمدي وعدم الحياد عنه ومحاولة حمايته من البدع الدسائس
- نظرة السلف ومنهم ابن قيم الجوزية للفلسفة والفلاسفة، وما الجر عنه فيما بعد من ظهور الفرق التي تبنت الفكر الفلسفي من منطلقات دينية.
- ظهور الفرق الكلامية تسبب في إحداث الشقاق بين المسلمين والخلافات التي أدت إلى تعذيب الصالحين من قبل من نهجوا منهج هاته الفرق الضالة من أولي الأمر وخلفاء المسلمين.
- براعة الإمام ابن قيم الجوزية في استنباط الأحكام والمفاهيم من الآيات والاستشهاد بها لرد الشبهات عن السنة.

وفي الأخير نقول أنه ما تم عمل إلا نقص لكننا نأمل أن يكون عونا لنا على طاعة الله وإتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وآثار السلف بمعرفة مواطن الزلل من الكلام والفكر الذي يحيد بنا عن جادة الصواب.

فالله نسأل أن يهدينا ويتولى أمرنا وييسر أمورنا إلى ما يحب ويرضى.

ولا اله إلا الله وحده لا شريك له ونصلي ونسلم على خير الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وعلى صحابته الأخيار والحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع والمصادر

مراجع البحث:

المصادر

1) ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، اعتنى به وعلق عليه عاطف صابر شاهين، ط1 الجزائر: دار الرشيد، 2007 م.
2) ابن قيم الجوزية، الفوائد، ط2، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، 2004م .
3) ابن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، تحقيق محمد عبد الله، القاهرة: دار ابن الهيثم، 2004 م.
4) ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق علي بن محمد الدخيل الله، ط1، الرياض: دار العاصمة، 1408 هـ .
5) ابن قيم الجوزية، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ط1، بيروت: دار الفكر،2002 م.
6) ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، بيروت :دار الكتاب العربي، 2005م.
7) ابن قيم الجوزية، طريق الهجرتين وباب السعادتين، تحقيق مكتب التوثيق والدراسات، ط1، بيروت: دار الفكر، 2005.
8) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي ومحمد عبد الرحمان الطيب، القاهرة: المكتبة التوفيقية.
9) ابن كثير، البداية والنهاية، خرج أحاديثه، احمد بن شعبان بن أحمد ومحمد بن عيادي بن عبد الحليم، ط1، القاهرة: مكتبة الصفا، 2003 م.
10) محمد أمان بن علي الجامي، العقيدة الإسلامية وتاريخها، القاهرة: دارالمنهاج، 2004 م.
11) أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق أحمد محمد شاكر المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، 1998 م.

فهرس المحتويات

الآيـــــــات	السـورة		الصفحة
(وقل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)	آل عمران	31	11
(يأيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)	الأنفال	24	12
(القد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله)	الأعراف	39	13
(وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب)	ص	20	21
(ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل)	آل عمران	48	21
(وأتيناه الحكم صبيا)	مريم	12	21
(وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة)	النساء	113	21
(واتخذ الله إبراهيم خليلا)	النساء	125	31
(وكلم الله موسى تكليما)	النساء	164	31
(خالق كل شيء)	الزمر	62	32
(وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون)	الأعراف	180	40
(إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين)	الذاريات	85	40
(وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم)	فاطر	10	40
(يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا)	النحل	76	41
(فلما أفل ...)	مريم	42	41
(هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمان الرحيم).	الأنعام	76	42
(خالق كل شيء)	الحشر	22	22
(وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون)	الزمر	62	43
(وان تكفروا فإن الله علي ولا يرضى لعباده الكفر وأن تشكروا يرضه لكم)	العنكبوت	07	44

التشكر	
إهـداء	
مقدمـة	أ - ج
الفصل الأول: التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية وتأثره بالفكر المحيط به	
1. المبحث الأول: التعريف بالإمام ابن قيم الجوزية	7
اسمه ونسبه	7
مولـده	7
ثقافتـه	8
شهادة العلماء له	9
تلاميـــذه	9
مؤلفـــاته	9
محنتـــه	10
وفـــاته	10
2. المبحث الثاني: تأثره بالقرآن والسنة ومذهب السلف	12/11
3. المبحث الثالث: انقسام طوائف التوحيد	13
كلمة الفصل الأول	16
الفصل الثاني: منهج وعقيدة الإمام ابن قيم الجوزية	
1. المبحث الأول: عقيدته ومنهجه	20/19
2. المبحث الثاني: نقده للفلاسفة والفكر الفلسفي	26/21
3. المبحث الثالث: نشأة الفرق الكلامي وتطورها	27
تمهيد	27
1.3 الشيعة	27
2.3 القدرية	29/28
3.3 الجهمية	30
4.3 المعتزلة	33/32
5.3 الأشعرية	35/34
كلمة الفصل الثاني	36

الفصل الثالث: نقده للفرق الكلامية	
1. المبحث الأول: نقده للجهمية	40
2. المبحث الثاني: نقده للمعطلة	42
3. المبحث الثالث: نقده للقدرية	44
كلمة الفصل الثالث	46
الخاتمة	49/48
قائمة المصادر والمراجع.	51
فهرس الآيـــات القرآنية	53
فهرس المحتويات	55/54